

ومما جاء فى وصف معركة الخندق أن النبى ﷺ حوصروا تسعا وعشرين ليلة! وكان القتال الرشق بالنبال والرمى بالحصى، إلى أن اقتحم بعض الفوارس على المسلمين خندقهم ومنهم عمرو بن ود، فخرج على كرم الله وجهه فى جماعة من رجاله، وأخذوا عليهم ثغرة أقحموا خيلهم منها، ثم بارز على عمرا. فقال له عمرو: ما أحب أن أقتلك يا بن أخى. فرد عليه قائلا: أنا أحب أن أقتلك فنزل عمرو عن فرسه مغضبا وأقبل على على، فتنازلا وتجاولا، وشد عليه على وضربه ضربة قتله. فارتد المشركون عن الخندق منهزمين.

وقال - كرم الله وجهه - فى ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب

فصددت حين تركته متجدلا كالجدع بين دكادك وروابى^(١)

فعلى كرم الله وجهه يتغنى بهذا الكلام وهو فى نشوة نصره فهو منفعل وكل انفعاله فيه الحاجة إلى تعبير، ولكنه يجهر ويفخر لا بأنه غالب عدوه بمفرده بل بأنه ناصر رب محمد. وبذلك يصدقنا التعبير عن ذات نفس المجاهد فى سبيل الله وهو يمهد لما ذكر متهكما بخصمه الذى يسفه رأيه لأنه يقاتل دون تعقل ويتوهم أنه الغالب وحقيقة الحال أنه ليس من هذا فى كثير ولا قليل.

وعلى كرم الله وجهه كثير الفضائل وحسبنا قولنا أنه أول من أسلم وأول من صلى وهاجر وشهد بدرا والحديبية، وبيعة الرضوان والمشاهد كلها غير تبوك، وابتلى أعظم البلاء فى بدر وأحد والخندق وخيبر، وكان لواء رسول الله ﷺ بيده فى مواطن عدة. وقيل إن عليا صاح والمسلمون يضربون الحصار على بنى قريظة قائلا: يا كتيبة الإيمان والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصهم^(٢).

ونلقى السمع إلى ندائه الذى نادى فيه أصحابه قائلا يا كتيبة الإيمان لأن هذا يرشد إلى أنه يقاتل إيمانا واحتسابا مما يمكن أن ينسحب على من فى معيته من المجاهدين ويسبغ على المجاهدين الخاص من صفاتهم وهم محاربون.

(١) المقدسى: البدء والتاريخ، ص ٢١٧ ح ٤ (ناربر ١٩٠٧).

(٢) المحب الطبرى: الرياض النصرى ص ٢٢٥ ح ٢ (القاهرة).